قبسات من مواكب النبوة

نَبيُّ الله
دَاود عليه السلام

بقلم
ابراهيم يوسف نصير
عبدالجواد محمد الحمزاوي

مكتبة العبيكان

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

نبي الله داود عليه السلام/ لجنة التأليف والترجمة في مكتبة العبيكان - الرياض

٢٧ ص، ١٧× ٢٢ سم ،- (سلسلة قبسات من مواكب النبوة للفتيان)

ردمك: ٤-٧٠٦-٢٠-٩٩٦٠ (مجموعة)

١- قصص الأنبياء ٢- داود (عليه السلام) أ- السلسلة

ديوي ٥ ,٢٢٩ ٢١/١٨٨٥

ردمك: ٤-٧٠٦-٢٠-٩٩٦٠ (مجموعة) رقم إيداع ٢١/١٨٨٥

الطبعة الثانية

١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشـــــر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

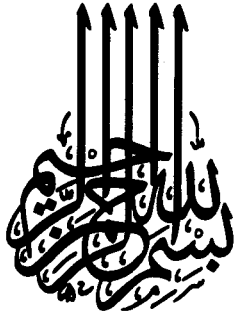
بسم الله الرحمن الرحيم

مولده ونسبه:

في بلاد الشام، مَهْبِطِ الرسالات وُلِدَ داود – عليه السلام – في بيت نبوة وسُلالة طاهرة.

أما نسبه فهو ينتسب إلى يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام.

صفته الخِلْقِيَّة:

كان داود – عليه السلام – قصيراً، أزرق العينين، قليلَ الشعر.

ميزات داود عليه السلام:

أعطاه الله ـ سبحانه وتعالى ـ ميزاتٍ وفضائلَ قلَّ أن تجتمع في شخص واحدٍ..

١– فهو نبي آتاه الله الزبور، وهو كتاب مقدس عظيم، من كتب الله المنزلة على الرسل الكرام، تُعَلِّمُ الناس، وتهديهم إلى طريق ربهم؛ ليسعدوا في الدنيا والآخرة.

٢– وهو مَلِكٌ عزيز، شدَّ الله ملكه، وأيده وحماه من الطامعين والفاسقين، فعاش الناس في هذه المملكة سُعداء آمنين، فرأسُ المملكة عادل عليم قوي، يحكم بين الناس بالعدل، ويأخذ على يد

الظالم وينصر المظلوم.

٣- وهو فارسٌ بطلٌ مغوارٌ، يخشى الأبطالُ لقاءه، ويخاف الشجعان منه. فما ظنكم برجل قتل جالوت وهو لا يزال بَعْدُ شاباً صغيراً، جالوت الجبار العاتي، زعيم العمالقة الذين أذلوا الشعوب، وقتلوا الأبطال.

٤- وهو مخترع، وفقه الله لأن يخترع اختراعاً كان الناس آنذاك في أشد الحاجة إليه، وظلوا قروناً طويلة يفيدون منه، ذلك أن الله ألانَ له الحديد، وعلمه صَنْعَةَ الدُّروع التي يلبسها المحاربون فتحميهم من سهام أعدائهم ورماحهم وسيوفهم..

٥- وهو رجل صاحبُ صوتٍ جميلٍ شَجِيٍّ، وتلك نعمة عظيمة اختصَّ الله بها نبيه داود - عليه السلام-، وأنعم الله بها على أولئك الذين كانوا يعاصرون داود فيسمعون منه ويرونه، فكان - عليه السلام - يقرأ الزبور - كتاب الله المنزل - بصوت جميل شجي، فيملأ السامعين خشوعاً وروعة ورهبة؛ وإيماناً بخالق الكون، حتى إن الجبال - وهي صَمَّاء جامدة - كانت تسبح بحمد الله معه، والطير في أعالي الجبال ساكنة، وفي أعشاشها جاثمة، وفي كبد السماء مُحَلِّقة، كانت تمجِّد الله وتحمده معه. فيا لها من نعمة ويا له من فضل.

٦- زيادة على ذلك فقد أعطاه الله الحكمة وفَصْلَ الخطاب.

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

فنبيُّ الله داودُ نبيٌّ مقربٌ، ومَلِكٌ عزيزٌ، وبطلٌ مغوارٌ، وصاحبُ صوت جميل خاشع، وحكيم، تلقى الحكمة من مولاه، وهو ـ عليه السلام ـ كان لأَنْعُمِ مولاه شاكراً، مؤدياً لحقها بالعمل الدؤوب لنشر دين الله في الأرض.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ١٧ - ٢٠].

المتواضع الشاكر:

كان داود ـ عليه السلام – متواضعاً؛ مع أن الله أعطاه الدنيا بكنوزها وخيراتها، تطيعه الناس رغبة ورهبة، آتاه الله كل هذه النِّعم ثم هو يأكل من عمل يده!! يصنع تلك الدروع التي علمه الله صنعتها، ثم يبيعها للناس ويأكل من ثمنها. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠]. وقال تعالى أيضاً: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

ظلَّ داود – عليه السلام – يعبد الله حَقَّ عبادته، ويشكره ـ سبحانه ـ على نعمه الكثيرة التي منحه إياها، – تبارك وتعالى – ويفيض عليه من فضله وإحسانه فهو ـ سبحانه ـ وعد من شكر بالزيادة، ونبي الله داود – عليه السلام – كان عبداً شكوراً.

أعطاه الله خير ما تمنى الأب وخير ما تمنى القائد.

فالأب يَتمنَّى ولداً صالحاً باراً.. يكون امتداداً له من بعده.

والقائد الصالح تتوقُ نفسه إلى خليفة قوي عادل، يقود الناس من بعده إلى طريق الخير والرشاد كما كان يقودهم هو..

والله ـ ذو الفضل والإنعام ـ أعطى داود – عليه السلام – ابنا نبياً ذكيا مَلِكاً، هو سليمان عليه السلام.

كان قُرَّة عين لأبيه، رأى منه في حياته ما فرح به، وقَرَّت به عينه، ويلحقه بعد موته ثواب أعماله..

إلى من أرسل داود؟

من الثابت عند جمهور المؤرخين أنه أرسل إلى بني إسرائيل، بعد أن ضلُّوا طريق الهُدى، وتفشى بينهم الفساد والظُّلم، وشهادة الزور. وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من إلقاء الضوء على أحوال بني إسرائيل قبل

داود – عليه السلام – ليتضح الأمر جليًّا، وليظهر الأثر الذي أحدثه داود – عليه السلام – فيهم.

خرج بنو إسرائيل من مصر سالمين، وقد أغرق الله فرعون وجنده، وبذلك انتصر الحق على الباطل، وبعد خروجهم من مصر مروا على قوم يعبدون أصناماً، فطلبوا من نبي الله موسى – عليه السلام ـ أن يصنع لهم إلهاً ليعبدوه كما يفعل هؤلاء القوم!

أنكر موسى – عليه السلام – عليهم ذلك، ووبَّخهم وعَنَّفهم قائلاً: كما بيَّن الله تعالى ذلك في كتابه الكريم.

﴿ **وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾** ﴾ [**الأعراف** : ١٣٨ – ١٤٠]

ولكن التمرد والعصيان والغدر يجري في دمائهم.

بعد ذلك طلب نبي الله موسى – عليه السلام – منهم أن يدخلوا الأرض المقدسة التي وعدهم الله بدخولها.

فلم يقبلوا ذلك، واعتذروا بأن فيها جماعة من الناس ظالمين جبارين،

ولا قدرة لنا عليهم، فإذا كنت تريدنا أن ندخلها فانتظر حتى يخرجوا منها، أو اذهب أنت وربك فقاتلا هؤلاء الناس، أما نحن فلا قدرة لنا على القتال.

عند ذلك عاقبهم الله على تخاذلهم، وقلة ثقتهم به، وضعف إيمانهم بعظمته، بأن جعلهم يتيهون في صحراء سيناء مدة أربعين سنة، أربعين سنة لا يعرفون الشرق من الغرب ولا الشمال من الجنوب.

بعد وفاة موسى وهارون – عليهما السلام – بزمن غير طويل ضرب الله الذُّلَّ والخذلان على بني إسرائيل حيث سلط عليهم العماليق؛ فساموهم أشدَّ العذاب. أرادوا الخلاص من محنتهم، فذهبوا إلى نبيٍّ لهم، وطلبوا منه أن يسأل الله – عز وجل – أن يجعل عليهم مَلِكاً صالحاً لينقذهم من أعدائهم.

فحقق الله دعوتهم وجعل طالوتَ مَلِكاً عليهم.

لم يكن طالوت من بيت مُلْكٍ أو غِنًى.

فاعترضوا على نبيهم؛ كيف يكون لطالوت الحكم علينا ونحن أحق بالملك منه؛ ففينا من هو أشد منه، وهو مع ذلك فقير لم يؤت سعة من المال، فبَيَّنَ لهم نبيهم أن طالوت يتصف بصفات المَلِكِ الصالح القوي

الحكيم، ومن هذه الصفات: القوة في الجسم والعلم. وليس الغِنى والجاه شرطاً في المُلْك والزعامة.

وعلى كل حال فالمُلْكُ لله يؤتيه من يشاء، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

وبعد قَبُولهم لحكم الله وهم كارهون، خرج بهم طالوت لمحاربة العماليق ولكنه لم يكن متأكداً من ولائهم له، فأراد الله اختبارهم فأوحى إلى نبيهم في ذلك الزمان أن يطلب من طالوت أن يأمرهم أن لا يشربوا من النهر الذي سوف يمرّون عليه إلا غرفة واحدة باليد، فقال لهم: ﴿**إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ**﴾ [البقرة: ٢٤٩].

فشرب أكثرهم ورجعوا، ولم يبقَ مع طالوت إلا قليلٌ من المؤمنين نحو ٣١ مؤمناً.

هؤلاء هم الذين عَبَروا النهر مع طالوت والتقوا بجالوت وجنده. وعندئذ دعوا الله عز وجل أن يثبتهم وينصرهم على القوم الكافرين.

دارت المعركة وحَمِيَ الوَطِيْسُ، وكان القتال شديداً بين الفئة المؤمنة القليلة وبين الكافرين وهم كثرة، ولكن الله يؤيد المؤمنين بنصره، وقد

انتهت المعركة بانتصار المؤمنين في فلسطين، وذلك بعد أن قَتَلَ شابٌّ في جند الله اسمه داودُ جالوتَ ملكَ العماليق الكفار.

وقد حظي داود بنعمة الله وفضله، فأعطاه الملك والحكمة، وعلَّمه من العلوم مالا يَعْلَمُهُ إلا الله.

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

داود - عليه السلام - يتولى المُلْكَ:

ظلَّ داود - عليه السلام - جندياً مخلصاً شجاعاً في جيش طالوت الملك، ثم قائداً مخلصاً فاتحاً مظفراً من قواده، ظلَّ يعلو شأنُه وترتفعُ درجاتُه عند الله وعند بني إسرائيل، ثم مات طالوت، كما يموت كل البشر فحزن عليه داودُ - عليه السلام - حُزناً شديداً، ورثاه بمرثية رائعة وتولَّى الملك من بعده.

لم يتغيَّر الملكُ داود - عليه السلام-، بل ظلَّ على تواضعه كما كان قبل أن يكون مَلِكاً، وقبل أن يكون قائداً فاتحاً مظفّراً، كل ما في الأمر أن مسؤوليَّاته تزايدت وتضاعفت، وقد زاد من عبادته وشكره لله؛ اعترافاً بفضل الله عليه.

طريق زيادة النِّعَم:

كلنا نعلم أن الشكر هو الضمان الوحيد والسبيل الأكيد لاستمرار نِعَمِ الله على عباده، بل وزيادتها.

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧].

هكذا كان داود ـ نبي الله العظيم ـ عليه السلام – عبداً شكوراً

كلما أعطاه ربه نعمة بالغ في العبادة والعمل شكراً لخالقه وواهب نعمه ومولاه الشكور الوهاب.

نِعَمٌ ومعجزات:

أعطاهُ اللهُ نِعَماً جزيلةً كثيرةً.. وأيَّده بمعجزات تُثبت صدقه في تبليغه عن ربه، من ذلك:–

١– أعطاه النبوة. حيث أنزل عليه كتاباً من كتبه المنزلة على عباده المرسلين، ألا وهو الزبور..

٢– وأعطاه الله صوتاً جميلاً حسناً كان يقرأ مزامير الزبور بهذا الصوت الجميل، فيخرج الكلام من فَم طيبٍ، وقلب طاهر؛ فيأسر السامعين جميعاً حتى قالوا: إن الطير والوحش كانت تعكف حول بيته ـ عليه السلام ـ تسمع مزاميره وتسبيحه وتمجيده لخالقه الواحد الأحد، الفرد الصمد.

٣- ومن نِعَمِ الله عليه التي تفرد بها عمن سواه:

أن الجبال كانت تسبح الله وتحمده إذا سمعته ـ عليه السلام ـ يسبح الله. وكانت الطير تنزه الله وتمجده إذا ما وصل سمعها ترتيله وتسبيحه وتمجيده لمولاه.

٤- أعطاه الله ملكاً قوياً شديد الأركان، لا يطمع عدو في الاجتراء عليه من خارجه، ولا يطمع واحد من رعيته في ظلم أخيه والانتقاص من حقوقه، فداود - عليه السلام - ملك نبي، قوي عادل، عالم حكيم، يأخذ على يد الظالم وينصر المظلوم، فعاش الجميع آمنين سعداء.

والطير تسبح في السماء طائرة أو جاثمة..

والجبال تسبح وهي راسخة في مكانها..

الكون كله يسبح الله ويحمده ويمجِّده، وداود ـ عليه السلام ـ يعمل شكراً لله وإعلاءً لشريعته.

٥- أعطاه الله نِعمة منَّ بها على الناس قبل أن يمن بها على داودعليه السلام.

فالله علمه كيف يصنع الدروع الخفيفة المتينة التي يلبسها المحاربون في الحرب لتقيهم ضربات السيوف وطعنات الرماح ورميات السهام.

الاستمرار على العبودية والشكر:

وظل داود عابداً شاكراً لأنعمه، كلما أنعم عليه مولاه بنعمة، اجتهد هو في العبادة لشكرها، ولكنه كان يعلم أنه لا يستطيع أن يفي بحق نِعَمِ الله عليه مهما فعل، فهو يستخدم نِعَم الله في شكره، فهو يصلِّي ويصوم ويجاهد ويعبد الله، لأن الله أنعم عليه بجسد صحيح قوي، ولولا ذلك لما قدر على الصوم والصلاة والجهاد والعبادة.

وهو يحكم بين الناس بالحق والعدل، لأن الله أنعم عليه وأعطاه قلباً تقياً، وعقلاً نقياً، ووحياً ينزل عليه من السماء، ولولا ذلك ما كانت أقضيته بذلك الإتقان والعدل.

ثم إن العمر والحياة نفسها من نِعَمِ الله.

نادى داودُ – عليه السلام – مولاه وقال: يا رب، كيف لي أن أشكرك وأنا لا أصل إلى شكرك إلا بنعمتك؟

فأتاه الوحي أن يا داود، ألستَ تعلم أن الذي بك من النعم مني؟.

قال داود – عليه السلام –: بلى يا رب..

قال الكريم الوهاب: «فإني أرضى بذلك منك».

ولنستمع الآن إلى المولى - جل في علاه - يحدثنا عَمَّا أعطى نبيه الكريم داود – عليه السلام – من النِّعم.

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سبأ: ١٠، ١١].

﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾ [ص: ٢٠].

داود كما تحدثت عنه السُّنَّة النبوية:

كلنا يحب أن يسمع الناس يثنون عليه ويمتدحون أعماله..

ولكن ما هو الثناء الذي يحق للإنسان أن يفرح به ويفخر؟

لا شك أن الثناء والمدح حينما يصدران من رجل تقي، عالم، عاقل، حينئذ يحق للممدوح أن يفرح وأن يُسر بهذا الثناء، وأن يشكر الله أنْ وفقه للأعمال الصالحة والخصال الحميدة، وأعانه على الخير والمكرمات، فنال رضا الناس الصالحين وثناءهم ودعاءهم، وما يدخر له يوم القيامة خير وأبقى..

فما بالك إذا كان المادح هو رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نفسه؟!!

ما بالك، إذا مدح محمد بن عبد الله ﷺ، سيد ولد آدم جميعاً وخاتم المرسلين، عبداً من عباد الله الصالحين وأخاً من إخوانه المرسلين.

ذلك يعني أن ذلك النبي قد حاز مكرمة عظيمة ومأثرة جليلة، قضى له بها رجل عارف بالمكرمات والفضائل، ذلك أن نبينا محمداً ﷺ إنما بعث ليتمم مكارم الأخلاق.

ولنستمع الآن إلى نبينا الكريم، ذي الخلق العظيم والفضل العميم وهو يبين لنا فضل أخيه داود – عليه السلام –.

عن المقداد بن معد يكرب، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «ما أكل أحد طعاماً قط، خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده».

فكما علمنا أن الله عَلَّمَ داود – عليه السلام – صنع الدروع الخفيفة المتينة؛ وألانَ له الحديد، فكان يصنعها ويبيعها ويعيش من ثمنها هو وأهل بيته الكرام.

تصوروا، هذا المخترع العظيم، يصنع هذه الآلة المهمة من آلات الحرب، ويبيعها للناس، كيف تكون حياته؟ وهو مع ذلك وفوق ذلك نبي كريم ومَلِك عظيم.

هذا يدلنا أولاً على فضل العمل الشريف، فداود – عليه السلام – مَلِك ونبي ومع ذلك عمل في صناعة الحديد؛ التي يأنف كثير من شبابنا اليوم من العمل بها، وهم ليسوا ملوكاً ولا قادة!!

لم يكن نبي الله داود – عليه السلام – يعيش في ترف، بل كان يقضي وقته في العبادة والجهاد وتدبير أمور الناس بعدل وعلم، ولم يكن يعطي نفسه ما تريد من متع وشهوات مع كمال قدرته على ذلك.

كان – عليه السلام – زاهداً راغباً فيما عند الله فهو خير وأبقى..

ولنستمع الآن إلى نبينا العظيم محمد بن عبد الله ﷺ وهو يتحدث عن أخيه داود – عليه السلام وكيف كانت عبادته فيقول:

«أحب الصيام إلى الله صيام داود، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه».

وما يتبقى من وقت كان يقضيه في الجهاد والعمل وإقامة العدل بين الرعيَّة وتبليغ دين الله وشريعته للناس.

فهو نبي لابد أن يبلغ ما أمره الله به إلى قومه..

وهو ملك مسؤول عن كل فرد في رعيته، وهو يخشى أن يطلبه أحد بحق له يوم القيامة، فيوفر العدل، وسبل الحياة الكريمة لكل شعبه ورعيته.

وهو قائد مجاهد فذ. لا يستطيع أن يرى الكفر بارزاً قوياً في مكان إلا وأعد العدة لتدميره وهزيمته ليكون الدين كله لله.

وهو رب أسرة؛ لها عليه حقوق، وهو مهتم بها، حتى تنجو معه من عذاب الله، وينعم وإياها بالنعيم المقيم في جنة الخلد التي أعدها الله للمتقين من عباده.

قضاء داود عليه السلام:

كان داود – عليه السلام – يقتطع من وقته جزءاً محدوداً معلوماً، يقضيه خالياً وحده يعبد الله ويناجيه.

كان يعلم أن هذا الوقت هو خير معين له في مناحي الحياة كُلِّها.

ويعلم أنه بعبادته ربه يستطيع أن يقوم بواجبات ملكه على نحو أكثر دقة وإتقاناً، وأن يكون أكثر تَبَصُّراً بمشكلات شعبه ورعيته، وإلماماً بما يناسبها من حلول مختلفة.

وكان يعلم أنه بهذه الخلوة، يستنزل النصر في معاركه من السماء، فتعود جيوشه منتصرة مظفرة.

وكان يعلم أنه لابد له من الخلوة بمولاه، يناجيه ويعبده، ليرتفع درجات في جنات عدن، وينعم بأنس القُرب والمناجاة، فتشبع روحه وتهدأ نفسه.

وفي يوم من الأيام، وبينما كان داود– عليه السلام– جالساً مستغرقاً

في عبادته، إذ به يجد نفسه أمام رجلين يقفان أمامه! من أين دخلا، وكيف دخلا عليه؟

إن الباب موصد لابد أنهما تسلقا السُّور.

وكان الأمر كذلك فعلاً، فهذان الرجلان تسلقا السور ووثبا عليه.. فزع داود وحق له أن يفزع، فهذان الرجلان اخترقا الحرس وتسلقا السور ووثبا عليه، لم يصبرا حتى يخرج إلى الناس فيرفعا إليه حاجتهما مع الناس، فماذا عساهما يريدان؟!!

لم يكونا يريدان شراً، بل كانا يريدان حكماً وعدلاً من النبي.. الملك العادل.

قال أحدهما: يا نبي الله، إنني أمتلك نعجة واحدة.. وهذا أخي الواقف أمامك يمتلك تسعة وتسعين نعجة.

هو غني وأنا فقير

هو قوي وأنا ضعيف

فاستغل فقري وضعفي وأني أخوه، فطلب مني أن أعطيه نعجتي ليضمها إلى نعاجه فيتم العدد مئة نعجة، وهو يقوم بكفالتها وأمرها..

قضية بهذا العرض، واضحة لا تحتاج إلى تفكير.

ولكن هل يمكن أن يحكم قاض لخصم في غياب خصمه؟

طبعاً لا، فلابد أن يحضر الخصمان ليتولى كل منهما الإدلاء بحجته هذا هو العدل، وهذا هو ما يقضي به العقل السليم والمنطق القويم.

وهل يختلف الحال إذا حضر الخصم ولم يسمعهُ القاضي؟

هو سماع الحجة ومعرفة ما يدفع به التهمة عن نفسه.

وهذا ما فعله نبي الله داود – عليه السلام – . .

لم يسمع للأخ الآخر وهو حاضر ينظر ويسمع.

قضى للأول بأن هذا ظلم، لا ينبغي أن يقوم به الأخ الصامت الذي لم يتكلم ولم يفصح عن حجته في هذا الطلب، ولم يثبت على نفسه هذا الادعاء أو ينفيه أصلاً.

ولكن عباد الله الصالحين أوَّابون دائماً.

راجعون إلى مولاهم سريعاً.

تنبه داود – عليه السلام – سريعاً واستغفر ربه عن هذا السهو.

وظلت هذه الواقعة درساً لنا نتعلم منها، وصدق من قال:

«إذا أتاك خصمٌ قُلِعَتْ عينُهُ، فلا تعجل بالحكم له، فقد يكون الآخر قُلعت عيناه».

ولنعلم جميعاً أن القاضي لا ينبغي له أن يُحَكِّم هواه، ولا يعجل بحكمه حتى يتبين له الحق كما تظهر الشمس في كبد السماء في يوم صحو في وقت الظهيرة وقد قصَّ الله سبحانه علينا هذه القصة في القرآن، بقوله تعالى:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص: ٢١ - ٢٥].

خير خلف لخير سلف:

بقي داودُ - عليه السلام - يقوم بواجبه على أكمل وجه.

يعبد ربه ويجاهد في سبيله، ويتقي الله في رعيته، حتى أنعم الله عليه بخير ما يرغب فيه أب وخير ما يرغب فيه قائد.

رزقه الله بابنه سليمان - عليه السلام -.

قرت عين داود – عليه السلام – بابنه وهو يراه كل يوم يكبر وينمو، ويرى الله وهو يجري الحكمة على لسانه، ويرى ابنه وهو يحب الله ويعبده، واكتمل فرحه حينما علم أن ابنه ذلك النَّابه النجيب سوف يَرِثُهُ في المُلك والنبوة.

فهو الآن قد استراح، فسوف يتولى أمر بني إسرائيل من بعده ملك نبي، يملك الدنيا وينزل عليه وحي السماء، يعدل بين الجميع ويقيم شريعة الله كما أراد.

وها هو الآن قد استراح، فقد تفضَّل الله عليه وأنعم ورزقه بابن صالح نبي.

لن ينقطع عمله بموته، فهذا الابن يُعَدُّ امتداداً له.. إضافة إلى ما تركه من علم وآثار صالحة.

سوف تزداد حسناته كل يوم وهو في قبره بعمل هذا الولد الصالح ودعائه.

وسوف يقود ذلك الابن النبي بني إسرائيل إلى الخير، ويأخذ على يد الظالم وينقذ المظلوم ويعطيه حقه كما كان يفعل هو في حياته.

وفاة داود عليه السلام:

قيل: إن داود – عليه السلام – كان شديد الغيرة على أهله بحيث إذا خرج غُلِّقت الأبواب فلم يدخل أحد، وذات يوم وُجِدَ رجل قائم وسط الدار فخافت امرأته، ولما جاء داود – عليه السلام – فإذا الرجل قائم وسط الدار، فسأله داود! من أنت؟ فقال: أنا الذي لا أهاب الملوك، ولا أُمنع من الحجاب فقال داود – عليه السلام –: أنت إذن ملك الموت مرحباً بأمر الله فقبضَ روحه، وأتم الله عمره مئة سنة وهكذا انتقل إلى الجنة مع النبيين.

دروس وعبر من قصة داود - عليه السلام -:

١- يقص الله على نبيه محمد - عليه الصلاة والسلام - أخبارمَنْ قبله من الأنبياء ليثبت فؤاده ويطمئن نفسه.

٢- يجب علينا أن نستعين بقوة القلب وقوة البدن على طاعة الله لنحظى بكمال محبته والسعادة بالقرب منه.

٣- حسن الصوت نعمة من الله، يجب علينا أن نستخدمها في الذِّكر وقراءة القرآن والتسبيح.

٤- من أكبر نِعَمِ الله على الإنسان أن يرزقه علماً نافعاً وحكمة وفهماً للأمور.

٥- ينبغي علينا استعمال الأدب في الدخول على الناس وذلك بالاستئذان.

٦- يجب على الحاكم أن يحكم بالحق حتى ولو أساء الخصم الأدب.

٧- يجب قَبُول النصيحة ما دامت في الخير ولوجه الله مهما كان مركز المنصوح ودرجته.

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

مولده ونسبه. ٥

صفته الخِلْقِيَّة. ٥

ميزات داود عليه السلام. ٥

المتواضع الشاكر. ٧

إلى من أرسل داود؟ ٨

داود – عليه السلام – يتولّى الملك. ١٢

طريق زيادة النعم. ١٣

نِعمٌ ومعجزات. ١٣

الاستمرار على العبودية والشكر. ١٥

داود كما تحدثت عنه السنة النبوية. ١٦

قضاء داود عليه السلام. ١٩

خير خلف لخير سلف. ٢٢

وفاة داود عليه السلام. ٢٤

دروس وعبر من قصة داود عليه السلام. ٢٥